

التحرير والتنوير

وجملة (وإنما لفي شك) معطوفة على جملة (يا صالح قد كنت فينا مرجوا) فبعد أن ذكروا بأسهم من صلاح حاله ذكروا أنهم يشكون في صدق أنه مرسل إليهم وزادوا ذلك تأكيدا بحرف التأكيد . ومن محاسن النكت هنا إثبات نون (إن) مع نون ضمير الجمع لأن ذلك زيادة إظهار لحرف التوكيد والإظهار ضرب من التحقيق بخلاف ما في سورة إبراهيم من قول الأمم لرسلمهم (وإنما لفي شك مما تدعوننا) لأن الحكاية فيها عن أمم مختلفة في درجات التكذيب ولأن ما في هاته الآية خطاب واحد فكان (تدعوننا) بنون واحدة هي نون المتكلم ومعه غيره فلم يقع في الجملة أكثر من ثلاث نونات بخلاف ما في سورة إبراهيم لأن الحكاية هنالك عن جمع من الرسل في (تدعوننا) فلو جاء (إنما) لاجتمع أربع نونات . والمريب : اسم فاعل من أراب إذا أوقع في الريب . يقال : رابه وأرابه بمعنى . ووصف الشك بذلك تأكيد كقولهم : جد جده .

(قال يا قوم أرى يتم إن كنت على بينة من ربي وآتني منه رحمة فمن ينصرني من إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير [63]) جواب عن كلامهم فلذلك لم تعطف جملة (قال) وهو الشأن في حكاية المحاورات كما تقدم غير مرة . وابتداء الجواب بالنداء لقصد التنبيه إلى ما سيقوله اهتماما بشأنه . وخاطبهم بوصف القومية له للغرض الذي تقدم في قصة نوح . والكلام على قوله (أرى يتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة) كالكلام على نظيرها في قصة نوح .

وإنما يتجه هنا أن يسأل عن موجب تقديم (منه) على (رحمة) هنا وتأخير (من عنده) عن (رحمة) في قصة نوح السابقة . فالجواب لأن ذلك مع ما فيه من التفنن بعدم التزام طريقة واحدة في إعادة الكلام المتماثل هو أيضا أسعد بالبيان في وضوح الدلالة ودفع اللبس . فلما كان مجرور (من) الابتدائية طرفا وهو (عند) كان صريحا في وصف الرحمة بصفة تدل على الاعتناء الرباني بها وبمن أوتيتها . ولما كان المجرور هنا ضمير الجلالة كان الأحسن أن يقع عقب فعل (آتاني) ليكون تقييد الإيتاء بأنه من الله مشير إلى إيتاء خاص ذي عناية بالمؤتى إذ لولا ذلك لكان كونه من الله تحصيلا لما أفيد من إسناد الإيتاء إليه فتعين أن يكون المراد إيتاء خاصا ولو أوقع (منه) عقب (رحمة) لتوهم السامع أن ذلك عوض عن الإضافة أي عن أن يقال : وآتاني رحمته كقوله (ولنجعل آية للناس ورحمة منا) أي ورحمتنا لهم أي لنعظهم ونرحمهم .

وجملة (فمن ينصرتني من ا) جواب الشرط وهو (إن كنت على بينة) .
والمعنى إلزام وجدل أي إن كنتم تنكرون نبوءتي وتوبخونني على دعوتكم فأنا مؤمن بأني
على بينة من ربي أفترون أنني أعدل عن يقيني إلى شككم وكيف تتوقعون مني ذلك وأنتم تعلمون
أن يقيني بذلك يجعلني خائفا من عذاب ا إن عصيته ولا أحد ينصرتني .
والكلام على قوله (من ينصرتني من ا إن عصيته) كالكلام على قوله (من ينصرتني من ا إن
طردهم) في قصة نوح .

وفرع على الاستفهام الإنكاري جملة (فما تزيدونني غير تخسير) أي إذ كان ذلك فما دعاؤكم
إياي إلا سعي في خسرتني .

والمراد بالزيادة حدوث حال لم يكن موجودا لأن ذلك زيادة في أحوال الإنسان أي فما يحدث
لي إن اتبعتم وعصيت ا إلا الخسران كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (فلم يزدتهم
دعائي إلا فرارا) أي كنت أدعوهم وهم يسمعون فلما كررت دعوتهم زادوا على ما كانوا عليه
ففرؤا وليس المعنى أنهم كانوا يفرون فزادوا في الفرار لأنه لو كان كذلك لقلل هنالك :
فلم يزدتهم دعائي إلا من فرار ولقلل هنا : فما تزيدونني إلا من تخسير .
والتخسير مصدر خسر إذا جعله خاسرا .

(ويا قوم هذه ناقة ا لكم آية فذروها تأكل في أرض ا ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
قريب [64] فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب [65]) هذا
جواب عن قولهم (وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) فأتاهم بمعجزة تزيل الشك .
وإعادة (ويا قوم) لمثل الغرض المتقدم في قوله في قصة نوح (ويا قوم من ينصرتني من
ا إن طردهم) .

والإشارة بهذه إلى الناقة حين شاهدوا انفلاق الصخرة عنها